

معرفة الله

آية الله سيد جعفر سيدان

١

الملخص: هذا المقال يتضمن تقريراً عن وجهة نظر آية الله الشيخ مجتبى القزويني في البحوث العقائدية التي يأتي بها في كتاب «بيان الفرقان» و يؤكد السيد جعفر سيدان على فطرة التوحيد و التباهي بين الخالق و الخلق وهي أهم مؤشرات هذه الفكرة التوحيدية.

كلمات مفتاحية: الشيخ مجتبى القزويني؛ السيد جعفر سيدان؛ بيان الفرقان؛ التوحيد الفطري؛ التباهي بين الخالق و الخلق.

١. باحث و مدرس في الحوزة العلمية.

آية الله الشيخ مجتبى القزويني من علماء خراسان، أمضى جل حياته في البحث و التدريس و الحديث حول عقائد الشيعة. كتابه «بيان الفرقان» في خمس مجلدات يعبر فيه عن وجهات نظره. آية الله السيد جعفر سيدان العالم الخراساني المعاصر تلمذ على يد المرحوم القزويني، قدم تقريراً عن وجهات نظر استاذه حول معرفة الله، و نحن نقرأ المحاور الرئيسية لوجهة نظره التوحيدية:

١. التبّان بين الخالق والخلق في كافة الجهات.

٢. عقيدة التوحيد فطرية و ليست نظرية، و لها درجات و مراتب و لعبودية الانسان تأثير في هذه الدرجات.

٣. كلمات القرآن توحيدية.

٤. للنبي و الامام المقصوم دور أساسى في دعوة الناس إلى التوحيد.

٥. الانسان مختار في أفعاله، و هذه حقيقة مسلمة، لا تتعارض مع عمومية قدرة الله.

٦. أساس القرآن و العترة يتعارض مع أساس الفلسفة و العرفان في بعض البحوث.

هناك تبّان بين الخالق و الخلق، الخالق حالٍ من خلقه و الخلق حالٍ منه، و لا شبه بين الخالق و الخلق.

أسلوب الأنبياء في معركة الله تعالى للتذكير و تنبيه الخلق إلى الخالق المعروف بفطريتهم. الله الذي يدعوه الانسان في المصائب و البلايا، و على الانبياء أن يذكروا الانسان به، و قد يستخدمون الحجج لاثبات هذا التنبيه.

للذكير بالمعروف الفطري درجات و مراتب، أوّلها، يتحقق بفعل الله و يحصل الانسان على المعرفة التفصيلية بالتدبر بالأيات و تعاليم الأنبياء و الأئمة لترك المعاصي والوصول الى الدرجات العليا للمعرفة.

عندما يتم التعبير عن المعرفة الفطرية في الروايات بالشهود و الوجدان و الوصول، ليس معناه ما يريده العرفاء و الفلسفه من هذه التعبير قطعاً. لأنّ معرفة الله و إثبات الصانع مقولتان متباعدةان بالنسبة إليهما، و معرفة الله يربو على الإثبات و الإقرار بالله.

مظهرية إرادة الانسان و اختياره بالنسبة إلى إرادة الله و اختياره و بشكل عام، مظهرية كمالات الانسان بالنسبة إلى كمالات الله تعالى يعني أنه علامه و آية لكمالات الله، و ليس يعني أنه نموذج

من كمالات الله في مرتبة ضعيفة.

الاعتقاد إلى تجرد العلم عن المكان يختلف بالنسبة إلى عدم مخلوقية العلم، و هذان لا يتلازمان. لا مساخنة بين الخالق والخلق، و الخلق يتباين تمام ذاته و جوهره عن ذات الله تعالى، و الخالق خلو من الخلق، و الخلق خلو من الخالق، و هناك تباين تام بين الخالق والخلق. ليس من جوهرية الله في الخلق و لا من جوهرية الخلق في الله شيء. في حيطة مدركات الإنسان، لا يكون شبيه و لا نظير لله، فلذلك، العلاقة إليه أمراً ميسوراً للإنسان، بل معرفة الله من قبل الإنسان غير عقلاني و لا معنى لها. على هذا نعتقد أن معرفة الله تعالى أمرٌ فطريٌّ و أفيضت هذه المعرفة من قبل الله إلى الإنسان، و قمّت البشر من معرفة الله بتعريف الله و بالإفاضة الالهية. و لا يولد مولود إلا بمعرفة الله، لكن يغفل عمما له في هذه الدنيا و ينساه.

إنما يتبعه الإنسان في حياته المعرفية أمام دعوة الانبياء و لا يكتسب المعرفة بالله بالعقل النظري و إقامة الحجّة، و لا تكتسب معرفة الله بالبراهين الاصطلاحية و إقامة الحجج الفلسفية. إنما يستخدم البرهان و الحجّة في النصوص الدينية للتذكير الذين أغفلوا عن معرفتهم الفطرية و لا يخضعون أمامه تعنتاً.

عبارة أخرى؛ لا تكون البراهين و الحجج في النصوص الدينية إلا تذكيراً و تنبئاً، حيث أنّ المعبد المعروف المفطور للإنسان حقيقة و هو دون المعبد الموهوم للأذهان و الأفكار. فلذا، لا يمكن الحصول على معرفة الله من طريق الحجّة و البرهان.

يتعارض قول الفلاسفة و العرفاء، اعني أنّ معرفة الله بحاجة إلى برهان المعرفة الوحياني. لأنّ على رأي المعرف القرآنية و أهل البيت: ليست المعرفة و إثبات وجود الله بحاجة إلى النظر و الحجّة، بل معرفة الله أمرٌ بديهيٌّ و يحصل للإنسان بتعريف الله.

يعتمد المرحوم القزويني لإثبات مدعاه إلى الآيات العديدة و اعتمد عليها. هو يكتب بعد القول عن الخلاف بين طريق الفلسفه و العرفاء و القرآن في المعرف الالهية و النتائج المختلفة لهذه الطرق **الثلاثة مجملًا:**

بعد بيان الخلافات بين الطرق الثلاثة، نقول للمزيد في الإيضاح عن نتيجة المهجين للفلسفة و العرفة متفهراً، و سنقول نتيجة طريق الانبياء في محله حتى يتبيّن الخلاف جيّداً و يدرك المختصون، أنّ الفلسفة و العرفة معارضان للقرآن و بينهما البينونة:

معرفة الله تعالى و إثبات وجوده، أمر نظري يحتاج إلى إقامة البرهان و منوط بالبحث و التحقيق في العلة و المعلول.

يدرك المرحوم القزويني في البحوث الأخرى لهذا الكتاب، أنّ البراهين المقامة من قبل الفلاسفة عديدة و أفضل براهينهم و التي يستند إليها «ابن سينا» هي برهان الامكان و الوجود.

هذا البرهان عقيم في إثبات وجود الله، لأنّه معلق على إبطال الدور و التسلسل، و البراهين المقامة لإبطال الدور و التسلسل عميق و مضبوط و بعيد المنال لعامة الناس. إنما يمكن فهمه من قبيل عدد قليل من العلماء و الباحثين، و لهذا لا يمكن ان نعتبر هذا البرهان طرificeً عاماً للمعرفة و التوحيد.

يمختلف طريق الانبياء عن طريق الفلسفه و العرفاء، لأنّ الفلسفه يستخدموا الحجّة في أسلوبهم على سبيل الحصر، و يعتقدون أنّ طريق معرفة الله محصور بالحجّ العقلية. حينما يسير الانبياء عادة في مسار التذكير الى المعروف الفطري للبشر، و يؤكّدون على تعلق الروح بالله عزوجل.

رواية الامام الصادق⁷ في هذا المجال، إحاجة عن الذى كان يتحير من معرفة البارى عزوجل:
 «هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةً تُنْجِيكَ، وَ لَا سَيَاحَةً تُغْبِيكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَبْلَكَ هُنَاكَ أَنْ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخْلِصَكَ مِنْ وَرْتَبَكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ الصَّادِقُ: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حِينَ لَا مُنْجِي، وَ عَلَى الْإِغَاثَةِ حِينَ لَا مُغَيِّثٌ»

١

على هذا، ليس التعلق بتلك الحقيقة المنجية على اساس إقامة الحجّة و ترتيب الصغرى و الكبرى و الاستنتاج. بل تلك نفس الحالة التي وضعها الله في الانسان و يعبر عنها بالفطرة. يعني نظراً بما وضعها الله في الانسان، توجد هذه الحالة دون أن يكون إقامة الحجّة. ولذلك طريق الانبياء، التذكير، حيث تظهر تلك الحالة الفطرية.

مسار الانبياء عادة مفيدة للجميع بما فيهم العوام و الخواص و إنّه شائع، و في نفس الوقت مسار إقامة الحجّة و التمتع عن البراهين في الحالات الخاصة محفوظة في مكانه. كما أنّ أهل البيت: كانوا يسوقون المنكريين و الغافلين بالحجّة و التمهيد الى المداية و الانتباه. فلذلك قام البشر بطريق

الاحتجاج لمعرفة الله، لكن كان مسار الأنبياء التذكير بالفطرة نظراً لأنهم ما كانوا منكرون لطريق إقامة الحجّة. فلذلك تبيّن اختلاف الطريقين. وقد تأكّد الاهتمام بالفطرة وحفظ منهج الاحتجاج.

درجات التذكير بالمعرفة الفطرية

حالة الفطرة لها اضاءة خاصة، ولكن عندما نتعمّق في الآيات وننظر إلى إتقان الخلقة، فإننا ندرك عظمّة الخالق. يقول الله تعالى:

«إِنَّ فِي خُلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَعَكَّرُونَ فِي خُلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا حَلَقْتَ هَذَا بِاطِّلَاءً سُبْحَانَكَ فَقَنَّا عَذَابَ النَّارِ»^١

فلذلك تشتدّ المعرفة الفطرية عندما نواجه آيات الخلقة والتدبر فيها، كما تشتدّ تلك الفطرة في حالة الپأساء والضراء والدعاء، وظهور حقيقة فطرية أكثر ونزول موانع ظهور الفطرة. التفكير في آيات الله ومعرفة الله على أساس الفطرة، يؤدّي بنا إلى الاهتمام بآيات الله، وهذا دليل على إثبات تلك الفطرة. يقول الشيخ المجتبى القزويني:

من الواضح أنّ الفهم والعمل بطريق يتوافق مع فطرة البشر هو أسهل سبيلاً، فإنّ دين الاسلام، بل جميع الأديان السماوية (قبل حصول التحريف فيها) اعتبرت طريق المعرفة مخصوصة في التذكير بال موجودات والتأمل والتدبر والتذكرة بالفطرة. وقال: معرفة القادر المتعال يدلّ على فطرة البشر و من تأقل قليلاً ورفع حجاب العصبية والأوهام، يذعن بالله تعالى ويعترف أنه ما زالت معرفته تزداد بالابتعاد عن المعاصي و العبودية لله سبحانه.

هو يتبّه إلى الابتعاد عن المعاصي، لأنّه إذا تبّه الإنسان وتوجه إلى الله، فإن عقله سوف لا يسمح له أن يستكير، بل ينبعى له أن يتّبع طريق الخضوع والخشوع أمام الله سبحانه و مازال يسير في مسار العبودية لله. إذن تزداد عنانية الله به مع ازدياد عبودية الخلق له وبالتالي، لا تعارض بين إقامة الحجّة بالفطرة وانّ إقامة الحجّة لا تستلزم انكار الفطرة. بل علينا أن ندرك أنّ الأساس في اهتمام الإنسان بالله تعالى، فطرته، لأنّ الله وضع في فطرة الإنسان الاتّمام إلى نفسه. لكن حصر

طريق المعرفة باقامة الحجّة و الغفلة عن المعرفة الفطرية ليس صحيحاً.
حضر طريق معرفة الله بالمعرفة الفطرية و تأثير العبودية فيها
الفطرة أساس المعرفة و بناءها و الطرق الأخرى تتبعها و تؤيدّها و تذكير إلى المعروف الفطري.
هذه حقيقة مهمة بأن يظهر التذكير بالمعروف الفطري ظهوراً أكثر، بترك العصبية و عبودية الله و
وتصبح إقامة الحجّة أسهل وأكثر تأثيراً.

I

عندما يميل الانسان الى الرذائل الأخلاقية و المفاسد العملية، يجعل حاجزاً قوياً امام الفطرة، و
قد تم التأكيد على التركيبة كثيراً. أتذكّر؟ كنت افكّر حيناً، وأتساءل ماذا يحدث عندما ينظر المرء
العادى الى ورقة الشجرة و يرى خصائصها، فإنه يسبّح الله تعالى و يتذكّر الباري عزّ وجلّ. لكن
عندما يقوم المرء بالنظر من خلال العين و يرى المزيد من الإنفاق والحمل و العلم اللامائي..، فاته
لا يسبّح الله، لماذا؟ نرى الرد على هذا السؤال في كلام لأمير المؤمنين على^٧ :
«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَثْنَانٌ؛ اتِّبَاعُ الْهُوَى وَ طُولُ الْأَمْلِ. فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيَصُدُّ عَنِ
الْحُقْقِ»

٨١

وهنا ندرك عواقب إتباع هوى النفس، و إختفاء الحق، إن هوى النفس حاجزاً دون
الاهتمام بالحق و بالتالي يغفل الانسان عن الفطرة. فلذلك على الانسان أن يتذكرى من الهوى و
الرذائل الأخلاقية حتى يصل إلى المطلوب.

المعرفة الفطرية بمعنى الشهود و اختلافه مع الشهود العرفاني.

إن الأنبياء و الرسل و اوصيائهم اعتبروا طريق معرفة الله محصوراً بالتذكير بالأيات الالهية، وهي
موجودات الآفاق و الانفس. و إن معرفة الله فطرية لجميع أبناء البشر. فلذلك لسنا بحاجة إلى
برهان «إن» و «لم» الذي هو مبني على إبطال الدور و التسلسل. بل عندما يذكروا الإنسان
بغطرته و يجعلوه متذكراً بها، يجد ربه و التذكير في هذه العبارة هو نفس الوجдан.

٢

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَسِيقًا فِطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»

٣

«فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»

١. نهج البلاغة، خطبة .٤٢

٢. الروم / .٣٠

٣. العنكبوت / .٦٥

تتصحّح المعرفة الفطرية في أيّ اضطرار، و هذه الحالات موضع التذكير إلى الفطرة و تنبئه الانسان المغفول إلى نفسه و إلقاء الناس إلى إعادة النظر في هذه الحالة و يريهم التجلّى للمعرفة الفطرية. تذكّر الروايات و الآيات في هذه الحالات، حالة لا مجال لإقامة الحجّة فيها، بل فيها التلّقّي و وجдан الحق دون الاعتماد على إقامة الحجّة.

الفطرة في بعض الأحيان بمعنى الرغبة الباطنية و الجاذبية دون الاضطرار و القلق، و هذا المعنى والمفهوم يوجد في علم النفس، و ظهرت آثار مختلفة في ما يتعلق بالرغبة و الجاذبية على شكل معهود ومعابر مختلفة بسبب الخطأ و الإعوجاج. من البديهي أنّ هذه الرغبة و الجاذبية ليس مبدأها الطبيعية، لأنّ الرغبة و الجاذبية هما رغباتان إلى الحقيقة التي ليست طبيعية و لا مادية.

حجّية الفطرة، حجّية ذاتيّة، لأنّ الشهود و التلّقّي، أمران باطنيان و ليس فوق الشهود، و التلّقّي الباطني و الوجوداني شيء آخر. و لا يمكن لإيجاد هذه الحالة في الانسان وجود عامل طبيعي. لكن في الظروف التي نواجه هذه الحالة، نقدر الدراسة و إعادة النظر فيها فنتبيّن الحقيقة الباطنية للإنسان و تظهر المعطيات الوجودانية.

الفطرة في بعض الاوقات تعني الفهم الاستدلالي الواضح، الذي له الوضوح والصراحة الخاصة. من تأمل في تمهيدات ذلك الاستدلال، يفهم النتيجة و لا يبقى له أيّ شكّ. و ذلك من القضايا التي تصوّرها يسبّب تصديقها" قضايا قياساتها معها".

من الواضح أنّ معرفة الله فطرية، ولها ثلاثة معان، و توجد آيات تدلّ عليها. و هذه المعانى الثلاثة هي:

١. بمعنى الوجود و التلّقّي و الشهود، و هي من فعل القلب. و لا يعتمد في هذا المعنى على اي استدلال، بل انّ هناك علاقة قلبية تعتقد بين الله و الانسان.

٢. الرغبة و الجاذبية إلى المعهود.

٣. القضايا الفطرية التي تطرح في علم المنطق (قضايا قياساتها معها)

يُسأل الاشخاص العقلاً و المنصفين: هل لا يدركون المخلوقية و العجز وكذلك احتياجكم؟ وهل انّ ما يشاهدونه من آثار الفقر و الفاقة من شأنه قدرة الخالق وعلمه؟ و هذا هو المعرفة الفطرية. نعم! هذه المعرفة بحاجة إلى التذكير بها! لأنّ الغفلة و التسیان تقف حاجزاً أمام ظهور هذا الامر الفطري.

من وجهة نظر المرحوم الشيخ المحتفى القزويني، فإن الاستدلال بالآيات والاهتمام الحاصل عنها، يذكر الإنسان إلى تلك المعرفة الفطرية، ونحن نعتبر توجّه الإنسان بالمخلوقة و العجز و حاجتها إلى المعنى الثالث للفطرة. أي أن الاستدلال بالآيات من جنس القضايا الفطرية المطروحة في المنطق. فتعابير مثل الشهود والوجودان و التعلق القلبي كلها مأخوذة من القرآن و النصوص الروائية. و من جانب آخر تستخدم تعابير مماثلة في الفلسفة. وقد تعتبر بعض الأحيان المعرفة الفطرية من نوع العلم الحضوري على معنى الاصطلاح الفلسفى، بينما أساس العلم الحضوري مبني على القول بوحدة الوجود او اتحاد وجود الله تعالى و الخلق، وهناك بين المعرفة الوجودانية و الشهودية و المعرفة الفطرية المطروحة في الروايات و العلم الحضوري الاصطلاحى، يوم شاسع و كبير.

مع ذلك، بما أن بعض التعابير اشتراك في اللفظ، فعلينا أن نعنى النظر في اختلاف معنى الوجودان و الشهود المذكور في الروايات و العلم الحضوري المطروح في الفلسفة و العرفان. فتعبیر التعلق مأخوذ من الحديث، كما استعمل ذلك التعبير في نفس رواية السفينة، و نحن استخدمنا ذلك إعتماداً على تلك الرواية. إن التعلق يظهر العلاقة بين الروح و قلب الإنسان و الحق المتعال و كيفية هذه العلاقة بحاجة إلى الإيضاح.

هذه العلاقة ليست قابلة للوصف، و إنما يمكن ان نقول؛ إن الإنسان يجد هذه العلاقة مع الله دون أن يقدر وصفها و تحديد حقيقتها.

النقطة الثانية أن هناك تعابير مماثلة لتعابير الروايات و ما يستخدم في العرفان الاصطلاحي، و يمكن أن نقول حول هذا:

من التوابت، أنه لا مشابهة و لا مماثلة و لا اشتراك بين الله و خلقه. وكما جاء في الروايات: «كُنْهُهُ تَقْرِيقٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ» ، «مُبَايِنَتُهُ إِيَّاهُمْ مُفَارِقَتُهُ إِيَّاهُمْ» ، «تَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ».^٢ و نظراً بأن البيوننة بين الخالق و خلقه ليست مكانية و لا يمكن وصفها، نستطيع أن نقول: من المسلمات في هذه المدرسة، أن لا يوجد اشتراك بين الخالق و الخلق، حتى في اطلاق كلمة الشيء عليهما. فلذلك فإنه بعد اطلاق كلمة شيء على الله، يؤكّد على الفور؛ إن الله شيء لا كالأشياء،

١. عيون أخبار الرضا، صدوق ج ١ ص ٢٣٤.

٢. كتاب التوحيد، صدوق ص ٣٥ - ٣٦.

٣. دعاء الصباح لأمير المؤمنين[ؑ]: بحار الأنوار ص ١٩، كتاب الدعاء.

أعني عندما يستخدم تعبير موهم حول اشتراك الله و الخلق، يؤكد على الفور إنفاء الاشتراك و يصرّح به، الشهود و الوجدان الذي يستخدم في الفلسفة و العرفان المصطلح يعني فناء الخلق في الخالق. ويقال على أساس قوس الصعود و النزول: ينتزل شيء عن الله و بعد السير في عالم يرجع مرة أخرى و يتّحد بذات الحق أو يعتبرون الخلق طوراً و رشحة و مرتبة من ذات الحق المتعال، و يعتقدون أنّ لجميع الكائنات مراتب ضعيفة للحق الذي لا يتناهي.

والنتيجة انه من البديهي، أنّ الوجدان و الشهود ليسا كما يرى الفلاسفة و العرافاء، لأنّ البحوث الفلسفية و العرفانية تقام على العينية و التطور، أو تبني على أساس التشكيك و التنزّل، وكلّا هما على رأي الفقهاء ينتهيان إلى الخراب. أي ان التنزّل و التطور كلّا هما باطلان، و ليس الوحدة الاطلاقية صحيحة و لا الوحدة التشكيكية. بل يثبت القول بالبينونة، و ليس المراد من الشهود و الوجدان بمعنى الاصطلاحى للفلسفة و العرفان، بلقصد منها هو أنّ الإنسان في حالة البأساء و الضراء و الدعاء و التضرّع. و مع رفع الحاجز و الحجب يدرك الإنسان ربّه، و يجد نفسه غير الله و الله مبانياً لنفسه. أي انه لا يجد الوحدة بل يجد الازدواجية التي من جانبٍ هو العجز و النقص و الحاجة و التبعية المطلقة، و في جانب آخر الغنى و الكمال المطلقي.

الشخص الذي يقبل على الله، يجده حاضراً و شاهداً. هذه الحالة ليست قابلة للوصف عند ظهور حالة الفطرة، يُذعن الإنسان إلى ذاته المقدّسة إذ عاناً شديداً و بأحسن وجه، و خوفه و رجائه و اعتماده على الله أمر حتمي، بينما يجد بينه و بين الله البينونة التامة. على هذا، هناك بون شاسع بين ما يطرح في مدرسة المعارف بصفة الشهود و الوجدان و العلم الحضوري. يجب التعبير عن التعلق و الوصل والتعابير من هذا القبيل بالاعتماد على الأسس والجذر. قال الإمام العسكري^٧: «إِنَّ الْوُصُولَ إِلَيَّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ سَقْرٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِامْتِنَاعِ اللَّيلِ»

لا يمكن أن يقال؛ إن الإمام العسكري قال بوحدة الوجود، لأنّه استخدم تعبير «الوصول» في كلامه. نعود بالله. طرحت في بعض الأحيان قضية معرفة الله ثارة «اللَّهُمَّ عَرِفْنِي نَفْسِكَ» و قد اعتبر توحيد الله خروجاً عن الحدّين أي حدّ التعطيل و حدّ التشبيه.

ويستفاد من الروايات، بأنّ المراد من التعطيل هو النفي. وجاء في رواية: انّ هناك في التوحيد

١. بخار الآثار ج ٧٨ ص ٣٧٩.

٢. بخار الآثار ج ٥٢ ص ١٤٦.

ثلاثة مذاهب:

«إِنَّ لِلنَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ مَذَاهِبٌ: مَذَهَبُ إِثْبَاتٍ بِتَشْبِيهٍ، وَ مَذَهَبُ النَّفْيِ، وَ مَذَهَبُ إِثْبَاتٍ بِلَا تَشْبِيهٍ: فَمَذَهَبُ الْإِثْبَاتِ بِتَشْبِيهٍ...»^١

إذن، ففي بعض الأوقات، تطرح المعرفة و في بعض الأوقات نفي التعطيل أو الإثبات.

يقال في الإثبات: أنَّ جمِيع الموجودات والكائنات تظُهر حاجة العالم إلى معتمدٍ و مثبتٍ أي وجود الله تعالى. لهذه الموجودات فاعلٌ و مؤثرٌ ليس بذاتها. أي أنَّ جمِيع الموجودات مثبتةٌ حقيقة قائمةٌ بذاتها. عندما نقول مُخاطبين الله: «اللَّهُمَّ عَرِفْنِي نَعْسَلَكَ»، بناءً على هذا الدعاء فالإنسان لا يطلب إثبات وجود الله، لأنَّ الداعي ليس أهل التعطيل حتى يتطلَّب من الله الإثبات، بل هو مقرٌ بوجود الله ويقرُّ به و يتطلَّب المعرفة منه بعد قبوله. و هنا تطرح قضيةٌ غير إثبات وجود الله و الآ طلب إثبات الله من الله للذى لا يقبل الله وهذا خطأ.

إذا قيلَ أنَّ ما يتطلبه هو الإستمرار و مواصلة الإثبات، نقول: أنَّ هذا لا يتسق مع تعبير «اللَّهُمَّ عَرِفْنِي نَعْسَلَكَ» و من ثمَّ يعلمُ أنه بعد الإثبات تطرُّح قضايا وهي بعنایة الله الخاصة و ليست بمعنى وحدة الخالق و الخلق، بل هي عنایة خاصة، و أبعد من الإثبات والأقرارات، و هذه العنایة هي من عند الله ولا كافية لها.

معرفة الله هي فعل الله و دور النبي و الإمام فيها

جاء في بعض الأحاديث، بأنَّ معرفة الله هي فعل الله، و في بعض الروايات، أشير إلى وساطة الآئمة للوصول إلى معرفة الله: «بِنَا عَرِفَ اللَّهُ». فالجمع بين هذه الأحاديث هو إجمال و تفصيل. أي أنَّ المعرفة الإجمالية هي من جانب الحق تعالى، و المعرفة التفصيلية هي كلام الآئمة المعصومين، الذين استرشدوا بارشاد الأنبياء و الآئمة و ابلاغ برامج التهذيب و التركية إلى معرفة الله بالله، و هو نفس المرحلة النهاية للمعرفة.

لا تعارض بين الأدراک من حيث معرفة الله، لأنَّ معرفة الله يكون بالله أو بواسطة أولياء الله. نحن نقول: «اللَّهُمَّ عَرِفْنِي نَعْسَلَكَ»، و من جانب آخر نقول: «بِنَا عَرِفَ اللَّهُ». ووجه الجمع بين هاتين العبارتين برأينا: هو أنَّ معرفة الله بالله تعني: «اللَّهُمَّ عَرِفْنِي نَعْسَلَكَ» هي المعرفة الإجمالية، و

١. البرهان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٤

جميع الناس مفطرون على الفطرة التوحيدية، لكن معرفة بسط و تفصيل هذه المعرفة، يتمّ بأقوال المعصومين. فلذلك يقولون «بِنَا عُرِفَ اللَّهُ». أي انّ بسط المعرفة حول صفات الباري عزّ وجلّ يتمّ بواسطة هؤلاء العظام.

المصادر

١. بخار الانوار(ط - بيروت)؛ المجلسى؛ العلامه محمد باقر بن محمد تقى؛ ١٠٣٧ - ١١١٠ ق؛ تحقيق؛ جمع من الباحثين؛ ١١٠ مجلدات؛ الناشر؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ١٤٠٣ هجرية.
٢. البرهان فى تفسير القرآن؛ البحرينى؛ سيدهاشم؛ ١٠٥٠ - ١١٠٧ ق؛ ٥ مجلدات؛ قم؛ مؤسسة اسماعيليان.
٣. عيون اخبارالرضا (عيون الاخبار)؛ الشيخ الصدوق؛ محمد بن على بن حسين بن بابويه؛ ٣٨١ - ٣١١ ق؛ لبنان؛ بيروت؛ مؤسسة الاعلمى للمطبوعات؛ ٤٠٤ ق.
٤. كتاب التوحيد؛ ابن بابويه؛ محمد بن على؛ طبع هاشم حسينى طهرانى؛ قم؛ ١٣٥٧ ش.